ب- أولياچلبي، ورحلته إلي الحجاز

أولياچلبي، آوليا تشلبي = شلبي

مَنْ هو هذا الأوليا .. أين ظهر .. وترعرع ..؟ ماكنيته وشهرته ..؟ ما هي الظروف ، والدوافع التي وقفت خلف رحلته هذه ..؟ ما قيمة هذه الرحلة تاريخيًا ... وجغرافيًا ...؟ وما مكانتها بين الرحلات الإسلامية ...؟ تساؤلات كثيرة تتابع إلي الذهن بمجرد سماع إسم هذا الرحَّالة التركي المسلم .

فتجمع الأراء علي أن ميلاد آولياچلبي هو العاشر من محرم سنة ١٠٢٠هـ = الموافق ٢٥ من مارس سنة ١٦١١م [١] في اونقباني بمدينة استانبول [٢] وأطلق عليه والده إسم « أولياچلبي » [٣] ، تيمنًا بإسم صديق حميم له ، صار فيما بعد أستاذًا لآوليا .

---

(١) انظر : 1- M. Cavid Baysun, Evliya Çelebi Mad. Islâm Ansik. - , Cafer Erkiliç, Evliya çelebi, Hayati, Sanati, Eserleri,Varlik Yayinevi, Ist. 1954.- M. W. Özün, Evliya çelebi Seyahatname, Birincicilt.

وغير هؤلاء نهاد سامي بكارلي ، وبهجت نجاتي كَيل ، ووصفي ماهر قوجه تورك واختلف مع هؤلاء ؛

١- مؤلف كتاب Book of Travels of Evliya çelebi, Turkey - إذ جعل التاريخ ٢٥ فبراير بدلاً من مارس ، ٢- استان فوردجي شو إذ جعل السنة ١٦١٤م بدلاً من ١٦١١م . (المترجم)

٢- Unkapani ؛ حي من أحياء مدينة استانبول القديمة ، ذات الطابع الإسلامي . وكانت سوقًا رائجًا للدقيق ، والحبوب ، ومازالت كذلك وإن كان الحي قد تغير إسمه إلى ياوزسنان ، « المترجم » .

(٢) لميلاد آولياچلبى قصة يذكرها فى المجلد الأول من سياحته ، مفادها [أنه في ليله ميلاده كان الشيخ صُنع الله أفندي فى المنزل لحظة ميلاده ، فأذن بصوت عالٍ في أذنه .. وأمر الوالد بذبح الأضاحي « العقيقة » فذبح الشيخ اسماعيل أفندى المولوي اضحية .. وكان فى المنزل أيضًا سبعون من العارفين بالله وان الكسوه دار محمد أفندى هو الذى ربط قماطه... وأخرج شيخ مولوية قاسم باشا كسرة خبز من فمه المبارك ، ووضعها فى فمه داعيًا له . كما أخذ شيخ مولوية يكى قابى = يعنى قابى الشيخ دوغاني دهده الطفل الصغير وقذف به فى الهواء .. متمنيًا ان يكون هو طائر المولوية في الدنيا ..) سياحتنامه جـ١ ط١ ص ٣٦١ .

نخْلصُ من هذه القصة بتصور الجو الصوفي ، والعرفاني ، والديني الذي ولد فيه الصبي .. وان ذلك سيكون له ابلغ الأثر فى حياته . « المترجم »

(٤) آولياچلبي ؛ كلمة آوليا ؛ هي تخفيف من الكلمة العربية أولياء وهى جمع كلمة ولي .. أما كلمة چلبي فهى مكونة من كلمة چلب التركية القديمة وتعنى « الله » و« ي » هى ياء النسبة العربية . فيكون المعنى العام هو الولي المنتسب إلي الله .. أو ولي الله .. وهذا هو الأرجح لمعنى الإسم الذى إختاره والد الطفل ، فقد أراد له ان يكون صوفيًا ، يسلك طريق الصوفية المؤدى إلى الله .

كما أن من معاني هذه الصفة ؛ السيد ، الأفندي ، المهذب ، الرقيق الحال . حلو المعشر المتعلم ، الأصيل ، كما كان لقبًا يُلقب به أولياء العهد فى العصر العثماني ، وكذا يُطلق على رئيس طائفة من المولوية ، أو على مَنْ ينحدر =

أما أبوه فهو درويش محمد ظلى [1] وجده دميرجى ، اوغلى قره أحمد ويُوَصَل نسبه إلي الصوفي الشهير أحمد يسوي [2] أما أُمه فهى الأخرى ذات نسب ، وحسب تصل في قرابتها إلي الصدر الأعظم ملك أحمد باشا [3] . أما الجد الرابع لآوليا هو « مير عالم » ياوز أَرْسِنان ، وكان من كبار حراس محمد الفاتح ، وله جامع بإسمه ، فى الحي الذي ما زال يحمل إسمه فى مدينة استانبول حتى الآن . حي « ياووزسنان » . وكان للعائلة بيوت كثيرة فى هذا الحي ، وقد ولد آوليا فى آحدها . وقد إحترق وأُعيد البناء فى حياة اوليا چلبي .. وقد تغيَّر هذا الحي

= من سلالة مولانا جلال الدين الرومى ، أو الولي حاجى بكطاش . ولقبًا إداريًا يمنحه السلطان لولي العهد الذى يتولى ولاية صنجق أو ولاية من ولايات الدولة . وكلها تنطبق على آولياچلبى ، فهى أُمنيات يتمناها الأب لولده . « المترجم »

(١) هناك آراء كثيرة بهذا الصدد ؛ فهناك من يجعله محمد ظلى بن درويش . ومن يجعله ؛ درويش محمد ظلي .. ومن يجعله ؛ درويش محمد آغا ظلى ، « المترجم » .

(٢) أحمد يسوى ؛ صوفى كبير ، صاحب مذهب صوفي يحمل إسمه ، وقد ظهر فى التركستان فى محيط صوفي ، تتلمذ على يد العالم المشهور آرسلان بابا ، ثم رحل إلى بخارى ليتلقى العلم على يدي الشيخ يوسف الهمزاني ، بعد أن أتم دراسته ، شكل طريقته الصوفية الخاصة به ، ونالت رواجًا كبيرًا فى بلاد ما وراء النهر ، توفى عن عمر ناهز الستين سنة (٥٦٢هـ = ١١٦٦م) . وقد جمع آراءه الصوفية فى كتابه (ديوان حكمت) = ديوان الحكمة . « انظر د/ عمرو عبد الباقى ، الرحالة التركى آولياچلى ، مجلة كلية اللغات والترجمه ، العدد التاسع (، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م) ، وتورك آدبياتنده ايلك متصوفلر ، محمد فؤاد كوبريلى ، استانبول سنة ١٩١٨ . (المترجم) .

(٣) **ملك أحمد باشا** : من الأشخاص البارزين فى الدولة العثمانية . تقلب فى مناصب كثيره حتى صار صدرًا أعظم فى زمان السلطان محمد خان الرابع فقد شغل وظيفة سلحدار ١٠٤٨هـ ثم عين واليا على ديابكر ، فارضروم وبوصاية من (قيا) ابنة السلطان مراد الرابع شغل ولاية حلب لمدة تتراوح ما بين خمسة وستة أعوام ، ثم عين واليًا على بغداد سنه (١١٦٠هـ) وفى العام نفسه ولى الصدارة العظمى ثم عزل بعد أن شغل هذا المنصب لمدة ثلاثة عشر شهرًا وعين بعد ذلك واليا على ملسترة وكانت وفاته سنة (١٠٧٣هـ) (انظر قاموس الأعلام لشمس الدين سامى جـ١ ص ٧٩٢ – ٧٩٣) وانظر مقال موزتمان المنشور بدائرة المعارف الاسلامية التى سبقت الإشاره اليها . ويقول أوليا (ولما كان احمد باشا يمت بصلة القرابة لوالدتى فان الإنعام كان يصيبنى فى سهولة ويسر) سياحتنامه جـ١ ص ٢٤٥ . وقد تناول أوليا قصة عزل ملك أحمد باشا (انظر سياحتنامه جـ ١ ص ٢٧٨) ويعد المستشرق موزتمان من الباحثين القلائل الذين أبرزوا ملك أحمد باشا على أنه خال لأوليا چلبي فقد اكتفت مصادر أخرى كثيرة بالقول بأن أوليا يعد من أقارب ملك أحمد باشا الصدر الأعظم وأوليا چلبي نفسه هو أحد هذه المصادر (انظر سياحتنامه جـ١ ص ٢٤٥) وأحمد وفيق باشا (انظر مقدمة المجلد الأول من سياحتنامه وقاموس الاعلام لشمس الدين سامى مادة أوليا چلبي وانظر كراتشكوفسكى : الأدب الجغرافى العربى – المجلد الثانى ترجمة صلاح الدين هاشم ص ٦٤٨ ويقول الدكتور : جاويد بايصون « والدى يمكن قوله فيما يتعلق بما بين آوليا وملك أحمد باشا من صلة قرابه هو أن أم ، آوليا چلبي ربما كانت اختا للصدر الأعظم ملك أحمد باشا وربما كانت من أقاربه أى أنه ليس هناك من الوثائق ما يعين الباحث على القطع بأنها كانت شقيقة هذا الصدر الأعظم (انظر ج بايصون – المصدر السابق – ص٤٠١) + د . عمرو عبد الباقى ، الرحالة التركى آوليا چلبي مجلة كلية اللغات والترجمة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م العدد التاسع عشر + د . الصفصافى أحمد المرسى نفس المجلة العدد العاشر) (المترجم) .

الآن «آتاتورك بولوارى» . ومن الطريف حسب قول أوليا نفسه أنه كانت للعائلة محلات دباغة تبلغ ثلاثة عشر محلاً يعمل بها أكثر من مائة عامل . ولم يبق منها إلى الآن إلا الإسم فقط ، فما زال فى الحي شارعًا يُسمى «صاغريجى صوقاغى» أي شارع الدبَّاغ .

حفظ آوليا القرآن ؛ فلُقِّب بـ «حافظ» ، ولماكان إبن جواهرجي السراي ، وتعلم في القسم الداخلى بالسراي فلُقِّب بـ «چلبي» أي المُذهَّب ، ولمتعلم ، ومن هنا فإن الإسم الكامل له هى «الحافظ آوليا چلبي بن درويش محمد ظلى» . وحسب العادات ، والأعراف التركية العثمانية القديمة ؛ كانت هناك مراسم وإحتفالات تُقام لتسمية المولود ؛ منها الاذان فى الأذن اليمنى ، وقد قام بهذا – كما سبقت الإشارة – شيخ الإسلام صنع الله أفندى [1] وهو الذى أطلق عليه لقب آوليا ، ثم إنضم إلي الحفل كَيسوه دار محمد أفندى ، وكان شخصًا محترمًا محبوبًا من الجميع ، فاحتضن الوليد ، وأذن في أذنه اليسرى .. وهو الذى أطلق عليه إسم محمد . من هذا المنطلق يصبح «محمد آوليا چلبى بن درويش محمد ظلي» .

أيًا كانت الأسماء ، والألقاب ، فقد وَصَلَنا الإسم الذي عُرِفَ به وهو «آولياچلبي» . والده هو درويش محمد ظلي [2] .

---

(١) **شيخ الإسلام صنع الله أفندى** ؛ هوصنع الله أفندى ابن الحاج مصطفى بن جعفر أفندى ، ١٥٥٢ – ١٦٢١م . وهو شيخ الإسلام الثالث والعشرين فى الدولة العثمانية . (المترجم)

(٢) **درويش محمد ظلى** ؛ والد آولياچلبي وقد عاصر هذا الوالد تسعًا من السلاطين العثمانيين اعتبارًامن السلطان سليمان القانونى وتوفي عن مائة وتسعة عشر عامًا .. بدأ مُنَادمًا ، ومُصَاحبًا للسلطان القانوني ، ولحسن صوته؛ عمل مؤذنًا أساسيًا في جامع سليم الثاني فى أدرنه ؛ ولما كان فنانًا ؛ أصبح رئيسًا لجواهرجية السراي إعتبارًا من عصر سليم الثاني هذا ، ثم تدرج ، وتدرب علي العديد من الآعمال التي طوّرت ، ونُمّقت الفنون لديه .. كانت له محلاته التي تعمل في الجواهر ، فخرجرت من تحت يديه قطع فنية نادرة .. منها ساعة جميلة جعلها في خاتم السلطان محمد الثالث وباب الحَرَم المشغول خصيصًا لجامع السلطان أحمد .. وأرسل به إلى مكة خصيصًا لصنع المِزراب الذهبي الذي صنعه بيديه لتصريف مياه الأمطار من فوق سطح الكعبة المشرفة ؛ والدولاب الذي صنعه من قنطار من الفضة لـ «قَدَم النبي» = أثر النبي» (ﷺ) في مصر .. والبوابات ، والأبواب الفنية الرائعة التى صنُعها بنفسه لجامع «استركَون» .. وخرجت من تحت يديه العديد من البَسْمَلات ، والآيات ، وآبيات من الشعر كتبها بالخط العربي الجميل لكي تزدان بها الأسبلة .. والمحاريب .. والمنابر في العديد من المدن ، والأحياء التي طاف بها آوليا فيما بعد ، وذكر أنها من إبداعات والده انظر : جعفر أرقليج ص ٦) (المترجم) .

للوالد تأثير كبير ، وذكريات كثيرة ، ومآثر حميدة ؛ كانت تمنح آوليا الفرصة لكي يتحدث عن والده في ثنايا كتاب الرحلات التي قام بها فيما بعد .

وكلمة « درويش » التى تسبق ، أو تلحق باسم « محمد ظلي » لابد أنه إكتسبها لمسلكه الديني ، أو الصوفى الذي لازمه ؛ وذلك لأنه كان من المداومين على حضور جلسات الذكر فى تكية الشيخ عزيز محمود خدائي [٢] الذي كان من مشاهير مشايخ عصره . وكان الوالد ، دائمًا ما يصطحب ولده ، ويجعله يُشارك في المراسم ، والتراتيل ، والإنشاد الديني ، ويجالس كبار المرشدين ، والمريدين في التكية .

لقد وفدت بدايات العائلة من آواسط آسيا ، وتوطنوا حي زره كان فى كوتاهية [٣] . ثم شيدت العائلة بيوتًا لها في كل من « برغامة » [٤] و « بورصة » [٥] ، وامتلكوا مزرعة فى صانديقلى [٦] . وعند فتح استانبول ، بالرغم من أن العائلة قد انتقلت إليها ، إلا أنها لم تقطع صلاتها بما هو خارج العاصمة .

---

(١) مرجع سبق ذكره ص ٦ 1- Cafer Erkiliç .

(٢) عزيز محمود خدائي ؛ وهو من كبار مشايخ الطريقة الخلوتية ، اشتهر بكثير من أشعاره التى تدعو إلى الزهد ، والعبادة الخالصة لوجه الله . بعد أن أتم علومه ، سَلَكَ سِلْكَ القضاء ، انتسب فى بادئ الأمر إلى الطريقة المولوية ، وأخذ العهد على سيخها ، استقر بطريقته في اسكيدار ، وعمل بالوعظ والإرشاد فى اواخر أيامه ، توفى ١٠٣٨ هـ وضريحه من المزارات المفتوحة حتى العصر الحاضر ؛ انظر ، شمس الدين سامى ، قاموس الاعلام جـ٣) (المترجم) .

(٣) **كوتاهية** : (مركز ولاية فى العصر العثماني ، وكانت تقع فى جنوب شرق ولايتى خدا وندكَار ، وبروسه . من المدن التى لعبت دورًا مهما فى الحضارة الإسلامية على مر العصور . بها العديد من الآثار الإسلامية التى ترجع إلى العصور السابقة من السلاجقة والعثمانيين . وفى العصر الحديث هناك قضاء يحمل نفس الإسم . وتقع بالقرب من ولاية أنقرة . واراضيها تغطى حوالى ١٨٠٠٠ كم٢ من مساحة تركيا المعاصرة ، تتمتع بطقس جميل ، وحركة سياحية نشطة . انظر: شمس الدين سامى ؛ قاموس الأعلام جـ٥) (المترجم)

(٤) برغامه ؛ إحدى المدن الصغيرة القريبة فى بورصه ، ومناخها معتدل ، وزراعية . « المترجم »

(٥) **بورصه** : إحدى أشهر المدن التركية المعاصرة . وكانت أول عاصمه للدولة العثمانية . ثم تلتها أدرنة ثم استانبول . لها مكانه مرموقة فى الحضارة التركية العثمانية حيث شيد بها العديد من المساجد والجوامع والمدارس والأضرحة العثمانية . وظلت إلى عهد بعيد من الفتح العثمانى لمدينة استانبول وهى المدفن الاساسى للسلاطين العثمانين . انظر ؛ للمترجم استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة ، القاهرة ١٩٩٩ . ص٢٣) (المترجم)

(٦) **صاندقلى = صانديقلى** ؛ مركز قضاء ، سكانها جميعًا كانوا وما زالوا من المسلمين ، تابعة لولاية خداوندكار . وبها العديد من الاثار الإسلامية التى ترجع إلى العصور السابقة . ويقع فى شمالها الغربى سنجق كوتاهية . وفى جنوبها الشرقى قونية . تحوظ بها الجبال المرتفعة . كانت كثيرة المراعى فى العصر العثمانى ، ينبع منها نهر مندريس الكبير . فى جنوبها الغربي توجد بحيرة (آجى كَول) . متعددة المحاصيل فى العصر الحديث . تكثر بها المعادن الطبيعية . تربطها بالعديد من المدن الطرق الحديدية ، والطرق البرية الجيدة . بها مياه معدنية للإستشفاء . انظر : شمس الدين سامى ، قاموس الأعلام ، جـ٤) (المترجم)

الأم ؛ والتى لم يشأ آوليا ذكر إسمها – كعادة الشرقيين – هي فتاة آباظية [1] وفدت هي الآخرى من قفقاسيا [2] . أضحت خالة ، أو إبنة خالة ملك أحمد باشا الذي صار وزيراً ، ثم صدراً أعظم ، في الدولة العثمانية . وقد تزوجها جواهرجي القصر درويش محمد ظلي ... ومن هنا كانت صلة آوليا چلبي بملك أحمد باشا ، وطيدة طوال حياته ، وبسط أحمد باشا عليه عطفه ، وحمايته .. كما حظي برعاية زوجته اسمهان قايا سلطان إبنة السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ – ١٦٤٠م) . ولهذا ؛ كانوا ينسبون آوليا آحيانا إلي ملك أحمد باشا . كما كانت تربطه قرابة مع دفتردار زاده محمد باشا ، وإبشير باشا ، فقد كان الأخير يخاطبه دائمًا قائلاً « آولياي الحافظ » أو« الحافظ آولياي » ، أما دفتر دار زاده فقد كان يصطحبه ، ويجعله فى معيته آينما ذهب .. [3] .

إن آوليا ، بالرغم من ولعه بالحديث عن أسرته ، إلا أننا لا نجده يتحدث عن أمه إلا فى مناسبتين فقط ؛ عندما رأي الحناء في قدميها ، وأعجب بذلك ، وعندما كان يراها ، وهى تُطرز بخيوط الذهب المكرميات ، والملائات « الحراشف » وآغطية المخّديات .. وأنه ذكر ؛ أن من بين المحتويات التى تركتها جدته لأُمه ما بين أربعين ، أو خمسين ديناراً ذهبيًا من سكة السلطان مراد الثالث ، ويتحدث أحيانًا عن زوجة أبيه .. وربما يكون مَرَد ذلك إلى وفاة والدته ، وهو في سن صغير .

لم يذكر من الإخوة سوى أخًا ، باسم محمود ، وبضع آخوات ، إحداهن ؛ تُسمى « إينال » وهي تكبره ، وقد تزوجها « كلْ إيلياس پاشا ، أي ايلياس باشا الأقرع » صولاق اوغلى » الذى أُعدم في سراي چنكَل كوي ، خلال الثورة التى قام بها ، فى عهد مراد الرابع .. ويتضح من حكايات آوليا أنها لم تعش طويلاً بعد إعدام زوجها

---

(١) آباظة = ابازه ، تقع فى شمال قفقاسيا ، وفى الشمال الغربي من بلاد الجركس ؛ يمتاز مناخها بالإعتدال ، وأرضها خصبة رغم أنها جبلية ، وبعمل الاهالي بالرعي ، ومشهود لهم بالشجاعة . دخلت تحت سيطرة الروس ، لذلك اتفقوا مع الترك والتتار لمحاربتهم ، انظر . ش . سامى . الاعلام ص ٤٠٣ (المترجم).

(٢) قفقاسيا : بلاد القفقاز = القفقاس . وتقع بين آسيا وأوروبا ، وبين البحر الأسود ، وبحر الخزر ، تتكون من عشر ولايات . ظلت تابعة للحكم الروسى ، وتنقسم إلى إقليمين قفقاس الأدنى ، وما وراء القفقاس . سكانها يتصفون بالشجاعة وهم من المسلمين السنيين . وهى موطن الجركس ، والشيشان ، ويتصف رجالها ونساءها بالجمال ، ولذلك احتلوا مناصب حساسة فى الدولة العثمانية . (المترجم)

(٣) مرجع سبق ذكره ص ٦ 1- CaFer Erkiliç .

الذى كان قد إختطفها من كوتاهية ، وأن إحداهن كانت في سراي قايا سلطان ، ولم يذكر شيئًا عن الأُخْرَيات .

ينحدر أيضًا إلى أُسرة الأب ، والأم مجموعة من الشعراء ؛ كالشاعر موللا فيراقي ، وقول اوغلى محمد چلبي ، وابراهيم چلبي الكرمياني الذي كان يقرض الشعر متخلصًا بـ « شريفي » وعلمدار موللا محمد بن يعقوب . [١] كما لا يمل آوليا من الحديث عن عظماء العائلة ، ومدافنها التي تحتوي علي الكثيرين من المشاهير فى معظم مدافن كوتاهية ، وبورصة ، وشتى أحياء مدينة استانبول [٢] .

طفولة آوليا وتعليمه :

مما سبق نلمح فى حياة الرحَّالة آوليا چلبي الجو المترف الذي تربي فيه ، وعاش طفولته المبكرة .. ولقد مكنته مناصب الآقارب ، ووجود والده فى السراي من تعليم راقي .

درس آوليا چلبي في المدرسة الإبتدائية ، وكان طالبًا فى مدرسة شيخ الإسلام حامد أفندى ، فى نفس الحي الذى ولد فيه ، وظل يتعلم لمدة سبع سنوات على المعلم أخفش أفندي . وكان يداوم على حفظ القرآن الكريم حتى أتقنه علي يد معلمه ، وشيخه آوليا محمد أفندي ، وحسب قوله هو ؛ ظل في كتاب سعدي زاده إحدى عشر سنة للدراسة ، والتعلم .

ودرس التجويد ، والقراءات ، وصمم على التفرغ للعلم . بينما كان يتعلم علي أبيه فن الخط ، وفنونًا آخرى كصقل الآحجار الكريمة ، والكتابة عليها . [٣]

كانت لآوليا إهتمامات بالموسيقى ، والإنشاد ، ونراه فى سنة (١٠٤٥هـ - ١٦٢٥م) حافظًا ، ومرتلاً في جامع الآياصوفيا .. واجتذب إهتمام السلطان مراد ، والحاضرين فى إحتفال ليلة القدر ، فطلب السلطان أن يأتي إليه ، ولما استقبله فى مقصورته ؛ خلع عليه ، وقدَّره ، وطلب أن يكون من مصاحبيه . [٤]

---

(١) مرجع سبق ذكره ص ٧ 1- Evliya Celebi Hayati, Sanat, Eserleri, .

(٢) انظر مادة آوليا ، دائرة المعارف الإسلامية 2- Is. Andik. Evliya çelebi Mad.

(٣) مرجع سبق ذكره ؛ ص ٤٠١ : 1- M. Cavid Baysun

(٤) آوليا چلبي سياحتنامه س ؛ جـ١ ص٢٤٤ .

ويروى آوليا چلبى هذه الواقعة المهمة فى حياته على النحو الاتى :

[كانت ليلة القدر من شهر رمضان لعام ١٠٤٥هـ = الموافق ١٦٤٦م ، وكما يحدث فى كل عام كان عدة آلاف من الحضور فى جامع الآياصوفيا .. وفى تلك الأثناء ، وبينما كان آستاذي آوليا محمد أفندي يختم القرآن الكريم ، وبسبب رغبة ، وإصرار والدي درويش محمد آغا وبعد صلاة التراويح في مقصورة المؤذنين الموجودة في المسجد ، وفي ليلة القدر تلك بدأتُ فى ختم القرآن الكريم .. وعند الإنتهاء من سورة الأنعام خرج كل من [قوزبكچى محمد آغا] ، و(سلحدار ملك أحمد آغا) من المقصورة ، وألبسوني تاج يوسف المقصَّب بالذهب . وسط هذه الجموع الغفيرة ؛ وأمسكوني من يدي قائلين ! « تفضل .. إن صاحب السعادة السلطان يريدكم...) وأحضروني إلي مقصورة السلطان..[١] .

أدرك السلطان مراد انفعال آوليا فسأله : [فى كم ساعة تستطيع ختم القرآن .. فرد آوليا .. « مولاي السلطان لو شئت فإنني أختمه فى سبع ساعات ، ولكنني أختمه إن شاء الله في ثماني ساعات دون إفراط أو تفريط) فأحسن السلطان عليه بحفنة من الذهب قائلاً : « إن شاء الله تكون مصاحبي » .[٢]

وكان لابد أن يتعلم في الأندرون = القسم الداخلي، بالسراي[٣]، وهنا تابع تعلم اللغة العربية ، والفارسية ، وفنون الخط العربي .. إلى جانب ذلك كان مُغرَمًا بقراءة التاريخ .. والإبتهالات الدينية .. ولهذا حفظ بعض المختارات من كَلستان سعدى[٤]

---

(1) Resad Ekrem Koçu. S. 10 - 77 - .

(2) Zuhuri Danisman : Evliya çelebi Nasil Musâhip oldu? Tarih Mev. Sa : 24 aralik, 2 Cilt 1951 , s : 1168 - 1168 +

(٣) الآندرون : مصطلح عثمانى كان يطلق على مدارس السراى أو البلاط السلطانى ، ويعنى الأجهزة التعليمية ، أو المدارس والإدارات التى تعد الموظفين الذين سيعملون داخل القصر وفى البلاط المهمايونى ، ويمد السلطان والقصر بكل ما يلزمه من العلماء والقواد والاداريين والحرفيين وقد كانوا جميعا يتخرجون فى هذه المدارس ، وقد كان طلاب هذه المدارس يجمعون فى الحروب « الديوشيرمة » ويربون على تعاليم الاسلام وطاعة السلطان والعمل فى خدمته . وكذا من الشباب الأتراك والمسلمين النابهين . وقد كانت بحق مدارس نظامية داخلية محكمة التنظيم أنظر : المصدر السابق : محمد ذكى باقلين (المترجم)

(٤) كَلستان سعدى : سعدى ؛ هو الشيخ مصلح الدين الشيرازى ، من آعاظم شعراء ايران وحكمائها المتصوفين . ولد فى آواخر القرن السادس الهجرى وفى عصر سعد بن زنكى بمدينة شيراز . ونُسب لهذا الحاكم فاشتهر بسعدى ، عاش ١٠٣ سنة ، بعد سن الطفولة قضى ٣٠ عامًا فى التعلم ، و٣٠ سنة فى العسكرية والسياحة ، و٣٠ فى =

ومثنوي جلال الدين الرومي [١] ، وكان يستشهد ببعضها فى كتاباته ، وخلال رحلاته التى دوَّنها في سياحتنامته .

دخل آوليا القصر ، وسلموه إلى رئيس آغوات السراي واختاروا له غرفة بالقرب من الجناح السلطاني ، وألبسوه ملابس لائقة .. وعلموه كيفية التحرك ، والتصرف في حضرة السلطان .. ورويداً .. رويداً بدأ في حضورمجالس السلطان . وحسب رواية آوليا نفسه ؛ فقد كان يُجيد الشيئ الكثير من فنون القول ، والشعر العربى ، والفارسي ، والسرياني ، واليوناني . وفنون الغناء الشعبي التركي ، والموسيقى .. والذكر والأدب ، ويحفظ الكثير من الشعر فى البحر الطويل ، ومن القصائد وترجيح بند ، وتركيب بند [٢] والمرثية ، والعيدية .. [٣] .

يصف آوليا نفسه ، وهو فى مرحلة السراي ، بأنه كان فى حوالي العشرين من عمره ، وكان رشيداً ، نجيباً ، على علم بمجالس الأدب ، وحلقات الذكر ، والعلم . وأنه ، وهو فى حضرة السلطان كان حلو اللسان طليقه .. منادماً خفيف الظل ... هذا وغيره مما جعله ينال رضاء السلطان ، ورعايته ، وشرف صحبته [٤] .

= الزهد والعبادة . كتب كتابه المشهور كلستان سعدى أي « حديقة سعدى » وهو فى سن ٦٧ من عمره نالت كتبه « بوستان » ، « كلستان » شهرة واسعة فى عالم الأدب ، أثر فى كل مَنْ اتى بعده من شعراء الفرس والترك . وانتشرت اشعاره فى هذه المناطق الشاسعة . وكان يحفظها كل مَنْ يشتغل بالفكر والأدب . أنظر : شمس الدين سامى ، قاموس الأعلام جـ٤) « المترجم »

(١) مولانا جلال الدين الرومى : (١٢٠٧ – ١٢٧٣م) من اكبر شعراء التصوف فى العالم الإسلامى ، عالم ، وفيلسوف ومؤسس الطريقة المولوية . ولد فى منطقه بلخ فى خراسان . والده كان سلطان العلماء بهاء الدين ولد . والدته مؤمنة خاتون من عائلة الإمبراطورية الخارزمشاهية . ترك بلخ متوجهًا الى الأناضول إلى مكة سنة ١٢١٢م ثم انتقل عن طريق الشام الى الاناضول وعندما وصل إلى قونيه عاصمة الدولة السلجوقية كان على عرشها السلطان علاء الدين كيقوباد ، فاستقبله بحفاوة بالغة سنة ١٢٢٨م . له كتب عديدة فى التصوف ولكن أشهرها قاطبة هو كتاب المثنوى المكون من ٧٠٠ ، ٢٦ بيتًا وقد كتبه باللغة الفارسية ، وترجم بعض أجزاؤه د. محمد كفافى ثم اكملها واعدها كاملة من جديد الصديق العزيز المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقى يوسف شتا . وله « ديوان كبير » الديوان الكبير . ومجالس سبعة ، أى المجالس السبعه وكلها تدور حول التصوف والعرفان وما يتعلق بهما من آداب ومراسم . وله مكتوبات وهى رسائل فى الوعظ والإرشاد ؛ انظر : د. الصفصافى أحمد المرسى ، استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة القاهرة ١٩٩٩ ص ١٤٤ هامش (المترجم) .

(٢) ترجيح بند وتركيب بند ؛ من فنون الشعر الفارسي والتركي ، وقد حرص الشعراء الفرس والترك بأن يُدلي كل منهم بدلوه فيهما . « المترجم » .

(٣) . 3- Zuhuri Danisman. s 1168 ------> 1169

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٧٠ .

قضى آوليا فى السراي أربعة أعوام ، تعلم فيها الكثير من العلوم والفنون ، وتعرف على الكثير من رجالات عصره بعد أن كان قد أمضى سبع أو ثمان سنوات فى المدرسة [١] إلا أن علامات التبرم ، والسأم بدت عليه فطلب الإذن من السلطان ليلتحق بقوات السباهية فوافق له ، وخدم فيها براتب قدره أربعين آقچة قبل أن يخوض السلطان مراد حرب بغداد . . إلا أن آوليا لم يستمر طويلا في السلك العسكري ، ولم يشغل رتبًا عالية هذا المجال .

وقد شغف بالسياحة ، والرحلات وهو لم يزل شابًا ، وذلك بعد أن وقع تحت تأثير ما كان يسمعه من قصص ، وروايات عن البلدان البعيدة ، من والده ، ومن رجالات الفكر ، والعسكرية الذين كانوا يجتمعون فى منزلهم فى كثير من المناسبات ، ودفعه هذا الشغف أن يطوف أولاً بإستانبول ، ويدرسها شبراً شبراً ، ويتعرف على كل معالمها وماثرها ، ويعيش لياليها ويتمتع بملاهيها وملاعبها .

وطبقًا للعنعنات التركية ، يربط أوليا چلبي شغفه ، وبدءه للسياحة والرحلات برؤيا ؛ وكانت هذه الرؤيا فى ليلة عاشوراء سنة (١٠٤٠هـ = ١٦٣٠م) وحسب روايته هو ، أنه فى هذه الليلة المباركة رأى النبى ﷺ وسط حشد كبير فى صلاة جماعة بجامع (أخى چلبي) ويَمثل أوليا چلبي بين يدى النبى ﷺ ، وتحت تأثير هذا الموقف يتلعثم ، وبدلاً من طلب الشفاعة يطلب السياحة حيث قال « السياحة يارسول الله بدلاً من أن يقول » الشفاعة يا رسول الله [٢] .

---

(١) المدرسة : اصطلاح تعليمي كان يُطلق علي « دار الفنون » أو « دار العلوم » وأول من أنشأ مدرسة على هذا الطراز فى العهد العثمانى هو أورخان غازى ، ثم نَص محمد الفاتح فى قانونه على إمتيازات تُقدم للقضاة ، والمدرسين . وكانت مدرسة إزنيك ، وبورصة ، وأدرنة من أهم المدارس التى أنشاها العثمانيون فى عهودهم الأولى . وبعد أن فتح محمد الفاتح إستانبول أنشأ جامعته « مدرسته » الشهيرة فى إستانبول ، والتى سميت بمدرسة « صحن ثمان » وكان للطلاب فيها أماكن للإقامة جنبًا إلى جنب مع المدرسين . وتدرس فيها العلوم النقلية والعقلية معًا .

وزاد عدد المدارس « الجامعات » في عهد القانوني وانشأت دار الشفا « اي كليات للطب ، وإلى جانبها « دار الحديث » وكليهما بجوار . جامعة المشهور (السليمانية) ، ولم تحدث الثنائية فى التعليم فى الدولة العثمانية إلا تحت الضغوط الأوربية بعد عهد التنظيمات فأصبح هناك ما يسمى بالتعليم المدرسي ، والتعليم الحديث : أنظر : (M. Z. Pakalin, O.t. Deyimleri ve Terimleri Isb. 1971) (المترجم) .

(٢) آوليا چلبي سياحتنامه س ، جـ١ . المقدمة .

وما أن رأى سعد بن أبى وقاص (رضي الله عنه) منه ذلك حتى طمأنه بالشفاعة ، والسياحة معًا .

يذهب أوليا چلبي إلى مشايخه ، وأساتذته ويقص عليهم رؤياه . ويطلب منهم تفسير هذه الرؤية . فيذهب إلى الشيخ المولوى عبد الله ده ده فى حي قاسم باشا فيطلب منه أن يفسر له هذه الرؤية فيوصيه الشيخ قائلاً (إبدأ بتحرير تاريخ إستانبولنا العزيزة) فيُشمر عن ساعده ، ويتحفنا بالمجلد الأول من سياحتنامه سنة (١٠٤٠هـ سنة ١٦٣٠م وفى سنة ١٠٥٠هـ = سنة ١٦٤٠م) ما بين إبريل ومايو يرحل إلى بورصه مع صديق له يسمى « أوقچى زاده أحمد ، وبعد عودته من هذه الرحلة التى لم يستأذن والده فيها ينصحه والده أن يسجل ملاحظاته أولاً بأول فى كتاب للرحلات ، ويأذن له بالترحال ، فيتوجه نحو إزميت » فى (١٠٥١هـ حزيران سنة ١٦٤١ م) وبعد أن يمضى شهرين فى إستانبول يتوجه إلى طرابزون فى صحبة كتنجى عمر باشا الذى عُيِّن واليًا عليها ، وكانت رحلته الثالثة هذه عن طريق البحر الأسود فى (١٠٥٠هـ ٢٨ ديسمبر سنة ١٦٤٠م) . ومنها توجه إلى آناپا (Anapa) وأنضم إلى الجيش المتوجه للإستيلاء على قلعة (آزاق Azak) ولما إنتهت هذه الحملة بالفشل توجه نحو (بهادر كَيراى خان) بالقوم لقضاء الشتاء . وقد أمضى شتاء هذه السنة فى (باغچه سراى Bahçe saray) . ثم عاد إلى استانبول بعد أن شارك فى إسترداد قلعة الآزاق . ومكث أربع سنوات فى إستانبول . وفى سنة (١٠٥٥هـ = سنة ١٦٤٥م) شارك فى فتح خانيا "Hanya" مع يوسف باشا الذى كان يقود حملة كَريت Girit ثم عاد إلى استانبول . وفى العام التالى مباشرة خرج إلى الأناضول كمؤذن ومُصاحب للدفتردار . آده محمد باشا » الذى عين أميرًا للأمراء على أرضروم . وقد مكنته هذه الرحلة من التجول والطواف بكل مدن وبقاع الأناضول . ثم عاد إلى أرضروم ، والتحق بالحملة التى قادها الدفتردار زاده ضد أمير الشوشيك (Susik) فتمكن بذلك من مشاهدة بعض مناطق آذربيجان مثل كَورجستان (Gurcistan) كُلِّف أوليا چلبي ببعض المهام ، وحمل بعض الرسائل إلى خان روان "Revan" فتمكن من الطواف ، ومشاهدة مناطق كَومشخانة Gümüshane وطورطوم Tortum . بعد أن شارك فى حملة كورجستان عاد إلى أرضروم وأمضى الشتاء بها ، ثم عاد مع الدفتردار زاده محمد باشا إلى استانبول وقد كلفه محمد باشا بمهام كثير ،

ووساطات لجمع كلمة أمراء الأناضول للمشاركة فى القضاء على عصيان (واردار على باشا) الذى كان يهدد كيان الدولة أنذاك . ويحكى هو نفسه أنه بسبب العواصف الثلجية التى هبت خلال إحدى هذه الرحلات ضل طريقة فوجد نفسه وسط الجلاليين أمثال حيدر أوغلى وقاطرجى أوغلى وقد ساعدته هذه الصدف على التعرف عن قرب على ثورة الجلاليين [1] . والكتابة عنها هى وثورة (واردار على باشا) وقد أعطى معلومات قيمة جداً عن هاتين الثورتين .

يعود رحّالتنا إلى إستانبول (١٠٥٨هـ = سنة ١٦٤٨م) . ولكنه يتوجه مع أمير أمراء الشام مرتضى باشا إلى الشام فى (١٠٦٠هـ = ١٨ سبتمبر سنة ١٦٤٨م) ويظل بها حتى (١٠٥٨هـ = ١٤ تموز سنة ١٦٥٠م) وخلال هذه الفترة يكلفه مرتضى باشا بالتوجه إلى حاكم غزة ، ، ويحمله الرسائل إلى الشهابيين فى لبنان ، مما أتاح له رؤية الكثير من بلدان ، ومناطق سوريا وفلسطين . وبعد أن يطوف بالكثير من مدن وسط شرق الأناضول (لجمع الأموال لسيواس) يعود إلى استانبول وتسير الأمور لصالح أولياچلبي ، فيُعين خاله ملك أحمد باشا صدراً أعظم وبالتالى يصير أولياچلبي أمين الجيش المتوجه لتأديب الجلاليين . ويعاصر ، ويرى سوء إدارة خاله – كما يرى عن قرب ما يدبر فى القصر من خطط ، وخدع ، ومكائد . ويصاحب بعض منها وهو فى رفقة ملك أحمد باشا ، وفى بعض منها وهو وحده . وقد كان يقاوم رغبة خاله هذا فى أن يدفع إلى السوق بنقود مزيفة للقضاء على الأزمة ، الاقتصادية وكيف أن هذه السياسة قد أدت إلى عواقب وخيمة ، وإلى ثورة الحرفيين . ولما تم عزل الصدر الأعظم وتعينه أميراً للامراء على « أوزى » Ozi أُتيحت الفرصة لأوليا چلبي ليقوم بأول رحلة له فى بلاد الروميلى ، وأستمرت هذه الرحلة من (١٠٦٢هـ = ٢٣ أغسطس سنة ١٦٥١م) إلى نهاية (١٦٠٤هـ = حزيران سنة ١٦٥٣م) وكانت هذه الرحلة فى بعض منها فى رفقة ملك أحمد باشا ، وفى بعض منها وحده . وكان يقوم بحمل الرسائل المهمة بين روسچوق Rusçuk – وإستانبول ، وذهب إلى سلسترا ، وطاف

---

(١) جلالى : مصطلح ادارى عثمانى يطلق على العاصى أوالخارج عن القانون أو من يعمل ضد السلطان ، وقد كان هذا فى البداية اسم لأحد العصاة الذين ظهروا بالقرب من طوقات ورفع راية العصيان ضد السلطان سليم الأول (٩١٨ – ٩٢٧هـ = ١٥١٢ – ١٥٢٠م) وادعى المهدية والتف حوله عدد كبير من قطاع الطرق واتباع العصابات وسبب قلاقل كبيرة للدولة تم القضاء عليهم . ولكن ظل أسمهم يطلق كل العصاة الخارجين على الدولة : أنظر : محمد ذكى باكالين . المصدر السابق (المترجم) .

بقرى ومراكز بلاد الأوز ، وكتب عما رآه من غرائب وعجائب فى قرى « بابا داغى » وزار صوفيا . ولما تم عزل الباشا عاد معه إلى إستانبول وقضى بها فترة انسته ملاهيها ، وملاعبها متاعب الرحلات الطوال التى قام بها .

عين ملك أحمد باشا والياً على « وان » فتوجه فى معيته ، قريبه أوليا چلبي . وظل فى جنوب الأناضول من (١٠٦٦هـ = ٩ مارس سنة ١٦٥٥إلى ١٠٦٧هـ = ٢٤ حزيران سنة ١٦٥٦م) ، وأتيحت له الفرص لزيارة كل مدن جنوب الأناضول ، وإيران . واختلط باليزيديين ، وجمع عنهم الكثير من الوثائق والمعلومات . ولما تم نقل ملك أحمد باشا والياً للمرة الثانية على بلاد الأوز توجه أوليا چلبي معه إلى سلسترا ودخل فى خدمة محمد كَيراى الرابع خان القرم ، وشاهد هزيمة القازاق الذين هاجموا بلاد الأوز وكان هو الذى حمل انباء هذه الهزيمة إلى إستانبول . وبعد عودته إلى مقر الولاية كان يكلفه خاله بنقل الرسائل بينه وبين زوجته (قايا سلطان) . (Kaya Sultan) .

سافر إلى البوسنه مع ملك أحمد باشا (الذى عين والياً عليها ولكنه بقى فى استانبول شهرا للعلاج بعد أن جرحه واحد من رجال كوبريلى محمد باشا (١٠٧٢هـ = ١٥٧٥ - ١٦٦١م) [١] وهو فى الاناضول فطاف بكل سواحل الأناضول ثم توجه إلى أدرنه مروراً بكوپريلى محمد باشا (١٠٧٢هـ = ١٥٧٥ - ١٦٦١م) فى « چناق قلعة » وبعدها إنضم الى الحملة التى قادها « كوسه على باشا » على « واراد » "Varad" واعتبارا من (١٠٧١ = ٢٦ مايو سنة ١٦٦٠) طاف ببلاد الأورناؤوط ، والأويغار = البلغار ، وبوهميا = المجر وظل بها حتى (١٠٧٣هـ = مارس ١٦٦٢م) وبعد أن أمضى الشتاء فى بلجراد عاد إلى إستانبول ثم خرج منها إلى النمسا مع الجيش المتجه إليها تحت قيادة فاضل أحمد باشا (١٠٤٥ - ١٠٨٧ = ١٦٣٥ - ١٦٧٦م) [٢] ويقص علينا أوليا چلبي الغرائب والعجائب التى شاهدها ولمسها

---

(١) كوپرلى محمد باشا ، مؤسس عائلة كوپرلى التى تولت الصدارة العظمى في الدولة العثمانية لفترات طويلة ، ولعبت دوراً بارزاً فى تاريخها . تتابعت فيه وفى ذريته الصدارة . وقد تولى على بلاد الآرناؤوط (آلبانيا) سنة ١٠٧٠هـ = ١٦٦٠م (المترجم) .

(٢) فاضل أحمد باشا : من عائلة كوبريلي ، اشتهر بحبه للعلم ، وحمايته للعلماء ، تولى منصب الصدارة بعد العديد من المناصب فى الدولة العثمانية وأجرى بها العديد من الإصلاحات . ولد سنة ١٠٤٥هـ = ١٦٢٥م وتوفى سنة ١١٨٧هـ = ١٦٧٦م . (المترجم)

بنفسه فى بلاد النمسا ، وهولندا ، والسويد حيث زارها بعد يوهميا . وهذه الحكايات بالرغم مما فيها من مبالغات إلا أنها فى غاية الأهمية لدراسة تاريخ ، وعادات ، وتقاليد، ومعالم تلك البلاد خلال هذه العصور. وتصل مبالغات الرحالة، أوليا إلى أن يقص علينا أنه التقى فى فينا بالإمبراطور (ليوبولد الأول) (Leopold I) ومونتوسوكلى (Montecucolli) وأنه زار بلاد الأسبان ، والدنمارك وأنه وصل حتى دونكاركيه بجواز السفر الذى تسلمه من الإمبراطور ، وبالرغم من أن هذا الكلام فى حاجة إلى تحقيق إلا أنه يعطى الكثير عن تاريخ ، وعادات وتقاليد تلك البلاد ، وعلى مدى سعة إطلاع الرحالة أوليا چلبي . وبعد أن عاد من هذه البلاد كلف بمهام التفتيش على قلاع المجر ، فلذلك وافته الفرصة لكى يطوف بكل قراها وقصباتها ، ويحكى لنا فى كتابه . سياحتنامه » أنه وصل إلى بلاد القرم ، بعد أن تجول فى أردل (Erdel) ، والبغدان ، والأفلاق » وينتقل من القرم إلى قفقاسيا عن طريق البر . ويسجل أنه تجول فى بلاد « داغستان » ، وشواطئ بحر الخزر ، وبين قبائل الفولجا ، وأنه إنضم إلى قافلة أحد السفراء الروس من ترك Terek حتى الآزاق وعلم بها أن الجيش العثماني قد تحرك نحو كريت . فتوجه چلبي نحو (باغچه سراى) وشارك عادل كَيراى فى بعض حروبه ، ثم عاد بطريق البر إلى استانبول . ومضى فى هذه الرحلة ما بين (١٠٧٤هـ = تموز سنة ١٦٦٣م) حتى (١٠٧٨هـ = ١١ مايو سنة ١٦٦٧م) . وبعد أن استراح بعض الوقت توجه إلى زيارة بعض مدن الروميلى كسلانيك « وأدرنه » وساح بكل بلاد اليونان والموره » « وتساليا » . وعاصر ، بل وشاهد استيلاء العثمانيون على قانديا (Kandiye) ، وشارك فى إخماد العصيان الذى شب فى بلاد اليونان ضد العثمانيين ، والذى عرف فى كتب التاريخ بعصيان (ماينا) "Mayna" وبعد أن طاف بسواحل بحر الأدرياتيك مروراً ببلاد الأرناؤوط عاد إلى استانبول . وكانت هذه الرحلة فيما بين (١٠٧٩هـ = ٢٦ يناير سنة ١٦٦٨م) إلى (١٠٨١هـ = ٣١ أغسطس سنة ١٦٧٠م) .

رحلته إلى الحجاز:

أصاب أوليا چلبى الذى زار الكثير من البلدان ورأى آلاف المدن نوع من الحزن والكآبة لعدم قيامه بالحج وزيارة الأماكن المقدسة ، فحزم أمره ، وأعد عدته للقيام بالرحلة الرابعة عشر ، والأخيرة فى حياته ألا وهى رحلة الحجاز ومصر . فاستراح عدة

أشهر وأعد غلمانه ، ورافق قافلة الحج التركى ، والتى كانت تضم حجاج كل دول البلقان واستانبول . وشاهد ووصف لنا مراسم توديع القافلة وتسليم الجمل الذى يحمل المحمل وكيف أن السلطان بنفسه – وفى معيته الصدر الأعظم وشيخ الإسلام قد حضر هذه المراسم وقد كانت فرقة الموسيقى السلطانية تعزف أمام قصر السلطان قبل موعد قيام القافلة بزمن طويل وكان معنى ذلك ايذان وإعلام للجميع باقتراب موعد قيام القافلة ، فيقدم الأمراء والأثرياء وأهل الخير هداياهم لتكون فى عهدة أمير القافلة حيث يوصلها إلى سكان مكة ، والمدينة ومجاورى الحرمين الشريفين .

وفى وصف دقيق وممتع يصف لنا الكاتب رحلته منذ أن قامت من استانبول حتى إنتهى من آداء شعائر الحج . ويقدم لنا شعور المسلم المؤمن فى مواجهة الصعاب ، وكيف أن القافلة كانت تحمل مالا يطاق من برد ، وجوع ، وعطش وهى تعبر الصحراء القاحلة [1] . كان كل ذلك من أجل الايفاء بركن من أركان الإسلام . وكثيراً ما كان يتحفنا ببعض من أشعاره الجياشة وتضرعاته وتوسلاته فى الحرم النبوى وأمام أستار الكعبة الشريفة .

يقدم أوليا چلبي أوصاف الحرمين الشريفين وما فيهما من تحف وعدد المأذن ، والأبواب ، والأعمدة ، والشبابيك وأطوال كل منها . وتعريف كامل بسكان البقيع من أصحاب رسول الله ﷺ . كما يصف لنا وصفًا دقيقًا كل ما كان يصادفه من قلاع ، وحصون ومساجد وتكايا ، ويعرفنا بأقطاب العلم ووصفا للأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية ، والادارية ، والتشكيلات العسكرية والتقسيمات الادارية للشام والحجاز [2] .

أتم أوليا چلبي طواف الوداع ، وأتم فريضة الحج فى موسم سنة (١٠٨٢هـ = ١٦٧١م) واستقر رأيه على مرافقة قافلة الحج المصرى عند عودتها لكى يقوم برحلته إلى مصر . فيلتقى بشريف مكة ، ويتجه إلى جدة لمقابلة الوالى العثمانى ليستأذنه فى الرحيل ، ولم يفته أن يخبرنا بتجارة جدة ، وبنوع وأجناس الحجاج ، والسفن وما

---

(١) سنرى كل ذلك فى ترجمة المتن الذى نحن بصدده ، وهو المجلد التاسع من الرحلة ، (المترجم) .

(٢) آوليا چلبى سياحتنامه س ، جـ٩ . استانبول ١٩٣٥م .

يحمله الحجاج المصريون فى رحلة الذهاب والاياب من مكة والمدينة وجدة التى كانت تجمع فى خاناتها تجارة الشرق والغرب .

رافق أوليا قافلة الحج المصرى بعد أن شحن كتبه ، وهداياه مع بعض من عبيده ، وغلمانه فى إحدى السفن المتجهة إلى السويس بحمولتها من البن والدخان ، وبضائع الهند ، والصين ، وجاوه ، ورقيق الحبشة وأفريقيا .

ويذهب الرحالة الى مصر عبر طريق العقبة وطور سيناء حتى وصل إلى السويس ، ومنها إلى القاهرة مروراً ببلبيس والصالحية . ويسجل لنا أنه تردد بين القاهرة ، وبلبيس عدة مرات لاستقبال عبد الرحمن باشا الذى عيِّن والياً على مصر فى (١٠٨٧هـ = ١٢ تموز سنة ١٦٧٦م) . وفى إعتقادى أن كتاب « سياحتنامه » أوليا چلبي من أدق وأوفى ما كتب عن الحجاز ومصر فى القرن السابع عشر ، فلو استبعدنا المبالغات فى تفسير بعض الظواهر لأعتبر هذا الكتاب سجلاً وافياً لما كان فى الحجاز ومصر من أثار ، ومساجد ، وجوامع ، وتكايا ، وزوايا ومستشفيات ، وبيمارستانات، وكنائس ، وخانات ، وقصور ، وبرك ، وترع ، وقنوات ، ومعسكرات، وعائلات . وكذا مرجعاً لا يستهان به للوضع الاجتماعى ، والاقتصادى، والعسكرى ، والإدارى لمصر فى هذه الحقبة التاريخية الغامضة من تاريخ مصر . فقد طاف الرجل بكل مصر ، حيث ذهب إلى دمياط عن طريق النيل ثم إلى الاسكندرية ، ورشيد ووصف لنا كل مدن ، ومراكز وقرى الدلتا ، ثم رافق حامية متجهة إلى السودان فتعرف وعرَّف لنا بكل مدن الوادى حتى وصل إلى أعماق السودان والحبشة وبلاد الفونج والتقى بملكها ووصف لنا ما كانت عليه هذه البلاد ، والقبائل من تخلف وما كان يسودها من عادات وتقاليد وأعراف [1] .

بقى أوليا چلبى فى السودان ، والحبشة مدة طويلة ، وعاد إلى مصر عن طريق ساحل البحر الأحمر وسجل كل ملاحظاته ومشاهداته والتى كان يدعمها بالمراجع فى مجلدة العاشر والأخير فى مجموعة رحلاته .

---

(١) أوليا چلبي سياحتنامة س ، جـ١٠ ، استانبول سنة ١٩٣٨ . وتُعد ترجمته للنشر حاليا من قبل مترجم ، وناشر هذا الجزء . « المترجم »

طريقة أوليا چلبى فى التاريخ:

كان أوليا چلبي يدّون ملاحظاته ، ومشاهداته عن البلد ، أو المدينة التى يمر بها . ثم يرجع إلى كتب التاريخ ، والرحلات التى سبقته إليها وخاصة الثقاة منهم . أمثال القزوينى ، والمقريزى ، والطبرى ، والذهبى وجلال زاده ، وصولوق زاده ، والأطلس الصغير . ثم يدعم هذا كله بالرجوع إلى القوانين ، والسجلات ، وكتب المناقب ، وسجلات الولايات ، ودفاترها ، وميزانياتها . وقد كان يستخدم أساليب عصره فى القياس ، فما أن يمر بجامع ، أو قلعة حتى يحصى الأبواب والأدوار ، والمخازن ، ويقيس بالخطوة ، والذراع كل ما يصادفه من آثار وأطلال . كما كان يعود إلى ما سجله أو رجع إليه من مراجع فى كتبه السابقة على حد قوله هو :

طبعات سياحتنامه:

أعتمدت النسخة رقم ٤٥٨٤٦٢ فى مكتبة برتو باشا أساسًا فى طبع سياحتنامه . وقد أشرف نجيب عاصم ، وأحمد جودت على طبع المجلدات الخمسة الأولى سنة (١٣١٤هـ - ١٨٩٦م) . وقام أمره قره جه صو سنة (١٣١٨هـ = ١٩٠٠م) بطبع المجلد السادس ، وقام كليسلى رفعت بطبع المجلدين السابع ، والثامن من سنة ١٩٢٨م . أما المجلدين التاسع والعاشر فقد أشرف على طبعهما أحمد رفيق فيما بين سنة (١٣٥٤ - ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٥ - ١٩٣٨م) كما طبعت مقتطفات ومختارات من رحلة أوليا چلبي فى إستانبول سنة (١٢٥٦هـ =١٨٤٠م) ، (١٢٦١هـ = ١٨٤٥م) . (١٢٧٩هـ=١٨٦٢م) والقاهرة سنة (١٢٦٤هـ = ١٨٤٧م) . واستطاع رشاد أكرم قوچى إختصاره وطبع خمسة مجلدات منه فقط ، وقام مصطفى نهاد أوزون باختيار لوحات تتعلق بالحياة فى القرن السابع عشر من سياحتنامة أوليا چلبي وطبع هذه اللوحات فى مجلدين . وأستطاع نفس المؤلف أن يجمع ماكانت الرقابة قد منعت طبعه فى حينه وشكل بذلك مجلداً ثالثًا . وفى سنة (١٣٩٠ هـ = سنة ١٩٧٠م) قام ظهورى دانشمان بإعداد طبعة جديدة مختصرة تقع فى عشرة مجلدات .

وقد ترجمت مقتطفات ومختارات من سياحتنامة أوليا چلبى إلى الألمانية ،

والانجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والمجرية ، والرومانية ، والبلغارية ، والصربية ، واليونانية ، والأرمنية ، وغيرها من اللغات الغربية [١] .

إن أوليا چلبي الذى قضى سنوات طويلة يطوف ، ويجول ، وهو فوق صهوة جواده قد إمتلك مهارة فائقة فى ركوب الخيل وسباقها ، وكان يتمتع – إلى جانب ذلك – بروح مرحة ميال إلى الفكاهة . وقد مكنته هذه السنوات ، وهذه الرحلات من إكتساب علوم ومعارف غزيرة ، إلى جانب كونه كان خطاطًا ، ونقاشًا ، وموسيقيًا وشاعرًا . وقد كتب لوحاتًا فنية ، وأشعارًا دينية وعلقها فوق جدران الحرم النبوى في المدينة المنورة ، خلال زيارته للمسجد النبوى سنة (١٠٨٢هـ = سنة ١٦٧١م) وأذا كانت أشعاره التى أوردها فى كتابه سياحتنامة ، تتسم بشئ من الركاكة ، والبساطة فإن نثره يدل على أنه كان يمتلك ناصية اللغات الاسلامية الثلاث « العربية والفارسية والتركية » وأن أسلوبه التركي كان من النوع السلس ، المتدفق . وكان يستخدمه فى الكتابة وكأنه يتحدث أو يقص على مستمعيه ما يشنف به أذانهم ، وتطيب به نفوسهم ويسعد به فؤادهم حتى ولو أدى ذلك إلى بعض الأخطاء اللغوية . [١]

* * *

---

(١) انظر فى تلك المراجع التالية :

1. Ayfar Güçlü, Evliya Çelebi Seyahatnamesi üni. Kip. Tez. Nu 1473. Ist. 1947.
2. Cafer Erkiliç. Evliya Celbi. Ist. 1969 .
3. Leman Nusret. Evliya Çelebinin Hayati üni, Kip, Tez. Nu, 173. Ist. 1939.
4. M. Çagatay Ulucay, Evliya Çelebi. Ist. 1957.
5. Meskûre Eren, Evliya Çelebi Seyahatnamasi. birinci Cildinin kaynaklari üzerinde Bir Arasriema. Ist. 1960
6. Zuhuri Danisman. Evliya Çelebi Seyahatnamesi. Ist. 1970 .. « المترجم »

(١) انظر فى هذا الجزء ، آوليا چلبى وكتابه سياحتنامه ، د/ الصفصافى احمد المرسى ، مجلة كلية اللغات والترجمة ، العدد العاشر ١٩٨٥ ص ٢١٧ – ٢٢٧ .